العربية اللغة الأولى للمسلمين

بقلم الشيخ عبد الله علي العيسى
وكيل المحكمة الكلية (الكويت)

1) لقد كانت اللغة العربية قبل اشراق نور الاسلام محصورة بين القبائل العربية المشتتة فى شبه جزيرة العرب ، فلما انبثقت الدعوة المحمدية من مهبط الوحي وامتدت الى جزيرة العرب ثم تخطتها الى بلاد الفرس وافريقيا وبلاد الروم ـ كانت وسيلة الاسلام فى نشر الدعوة هي اللغة العربية فأصبحت بذلك **لغة الدولة فى اقطارها المتباعدة** ، وهيىء لها ان تكون **اللغة الاولى للمسلمين** فى شتى اقطارهم وعلى اختلاف لغاتهم، فالاسلام عندما اتخذ اللغة العربية وسيلته لنشر الدعوة انما اسدى لها اجل خدمة تقدم لاية لغة ذلك انها فى **خلال مائة عام اصبحت لسان تلك الامم** التى فتحت بلادها حتى ان مفكرى البلاد الاعجمية الذين اعتنقوا الاسلام كانوا يتبارون فى التاليف بلغة القرآن .

وهكذا كانت اللغة العربية مرتبطة بالاسلام رابطة التابع بالمتبوع وليست رابطة السبب بالمسبب التى تكون نتيجتها ـ لولا العربية لما كان الاسلام ـ فاللغة العربية نشطت تبعا لنشاط الدعوة الاسلامية ولولا ذلك لبقيت لغة لبعض القبائل العربية ولعلها بدون الاسلام كانت قد اندثرت ، فالقول بانه لولا الاسلام لما تأتى للغة العربية ان تنتشر قول صحيح اما العكس فلا ، ذلك ان **قوة الاسلام لم تكن فى اللغة بل كانت فى روح العقيدة وقوة الايمان بها** ويعزز هذا الراى ان الاسلام فى العصور المتاخرة اي فى القرون الماضية القريبة حينما انتشر فى الشرق الاقصى وبلاد افريقية الشرقية بواسطة التجار المسلمين ؛ فقد انتشر بدون لغته العربية لعدم وجود السلطة بجانب العقيدة .

اما عن الاستشهاد بواقع بيئتنا الاقليمية وماضيها فى حقيقة الامر ـ لم تكن مأهولة الا منذ اربعمائة سنة تقريبا واما قبلها فكانت تتخذها بعض القبائل العربية مأوى من الغارات التى تشن عليها او ترد عليها بعض القبائل للسقيا من آبارها المعروفة بكاظمة والتى يطلق عليها الجهراء فى زماننا هذا ـ فبيئة بلادنا حديثة التكوين على انها لم تعرف خلالها لغة لها غير العربية .

2) العربية لغة (الظاء) وليس كما جاء فى استفتائكم بانها لغة (الضاد) فقد ورد فى حرف الظاء من لسان العرب ما نصه (روى الليث ان الخليل قال ـ الظاء حرف عربى خص به لسان العرب لا يشركهم فيه احد من سائر الامم) .

القول بأن لغة الظاء ضعفت نتيجة ضعف الوازع الدينى والوعي الاسلامى عند الناس قول صحيح يعززه

انك اليوم تجد اكثر المثقفين العرب لا يستطيع احدهم ان يكتب مقالا الا وخلفه مصحح لغوي يقتفي اثر هفواته ويتدارك اخطاءه ـ وكذلك تجد الغالبة العظمى من خريجي جامعاتنا العربية ما ان يكتب صفحة واحدة حتى تحصي عليه من الاخطاء اللغوية بل والاملائية ما يحيرك ـ واذا اردت العجب العجاب فحاول مع احدهم ان يقرا لك من المصحف ما تيسر ، مع ان هذا الحكم ليس عاما فيمن نشأ في بيئة متدينة او تثقف بثقافة دينية .

اما عكس هذا القول ـ وهو ان الوازع الديني يتبع اللغة فان هي قويت تمكن الوازع الديني من النفوس واشتد وان ضعفت ضعف ـ فهو في رايي غير صحيح والشاهد على ذلك ما تجده في بعض امم الاسلام من غير العرب فتجدهم **متحمسين للعقيدة ومتمسكين بها مع عدم معرفتهم للعربية** ـ ويجدر في هذا المقام ان ننوه بان للعربية مكانة عظيمة في الاسلام ولو لم يكن لها فخر على غيرها الا نزول القرآن بها لكان ذلك اعظم واكبر فخرا ـ وما يجري في ايامنا هذه من دسائس ومحاولات لابعاد العرب عن لغتهم كاستبدال حروفها باللاتينية انما يقصد به انهاك اللغة وزعزعتها في النفوس وابعاد الاجيال عن لغة قرآنهم ودينهم .

3) اما مدى تاثير الفكر الاسلامي عن طريق لغة القرآن في اللهجات او اللغات الاقليمية غير العربية فلا شك ان **للغة القرآن التي اكتسحت اللغات الاقليمية في غير البلاد العربية ايام الفتح الاسلامي** ، اثرا كبيرا على تلك اللغات **فبعضها اندثر** وحلت اللغة العربية مكانه والبعض اختفى الى ان انحسر ظل الحكم العربي الاسلامي عنها فظهرت تلك اللغات الى الوجود بفعل العصبية والشعوبية ولكنها بالرغم من ذلك لم تكن كما كانت في الاصل بل خالطتها العربية في كثير من الفاظها ومثالنا على ما نقول اللغة الفارسية التي يعتقد ان اربعين بالمائة من الفاظها المستعملة حاليا هي الفاظ عربية فضلا عن ان الحروف المستعملة في الفارسية الحديثة حروف عربية ، اما عن السؤالين الاخيرين فان لغتنا الاقليمية لغة عربية لا تخفى على اي عربي وان ما نتمناه للغة العربية في بلادنا وسائر بلاد العروبة ان تظل في المقدمة وان تكون اللغة الاولى لا ينازعها منازع .